

فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي - برلين"

المجلد 1 . العدد الأول . مارس 2018

Regestration No. VR3373 - 6325 B

مصالح الصين النفطية في القارة الافريقية

أ.د حارث قحطان عبدالله

قسم العلاقات الدولية – كلية العلوم السياسية – جامعة تكريت – العراق

Drharith53@yahoo.com

الملخص:

يعد الصعود الصيني العالمي وانتقالها من ادوراها الاقليمية الى الادوار الدولية، احد الدوافع الرئيسية للصين للبحث عن مواقع مهمة في علاقاتها لاسيما مع المناطق التي تتميز بإنتاجها للنفط، والقارة الافريقية هي أحدي هذه المناطق التي تتميز بإنتاج النفط ولاسيما في المناطق المكتشف فيها حديثا ولازالت بعيدة عن انظار الدول أو الشركات العالمية والمهتمة بالصناعة النفطية، حيث سعت الصين الى الاهتمام بالقارة الإفريقية من خلال تعميق علاقاتها بهذه القارة على أساس المصالح المشتركة وتنمية الاستثمارات سواء تلك النفطية وغيرها ولاسيما المساعدات الانسانية في تنمية القارة الإفريقية على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وتأكيد ان مصالح الصين بهذه القارة قائمة على احترام سيادة الدول وعدم التدخل بالشؤون الداخلية لهذه الدول، فدبلوماسية الصين النفطية تعتمد على تنمية هذه الدول وليس استغلالها وبالتالي تتيح هذه الدبلوماسية شعور بالارتياح عند دول القارة الإفريقية في علاقاتها مع الصين.

Abstract:

The development of the Chinese roles from regional to international and its progress are regarded as the main motives behind looking for significant roles in its relationships especially with oil- producing countries، The African continent is one of these areas especially in the areas in which the oil has deem explored recently and still out of the consideration of the States or the international companies interested in oil industry .China has endeavored to pay attention to the African continent

by reinforcing its relationships with it on the basis of joint interests and development of investments in the field of oil and other fields including the humanitarian aids in developing the African continent on the economic، social and cultural levels، Stressing that the Chinese interests in this continent are based on Sovereignty of States and non-interference in the domestic affairs of these States. The oil diplomacy of China depends on the development of this diplomacy makes the African countries satisfied with their relationships with China.

الكلمات المفتاحية :الصين، القارة الافريقية، النفط، المصالح النفطية، الاستثمارات .

المقدمة :

مع بداء التحولات الاستراتيجية الصينية في استقراء الواقع الدولي وتحولها من دولة إقليمية الى دولة ذات فاعلية دولية وعالمية تتنافس مع القوى الكبرى على الهيمنة العالمية . وفي ظل الاقتصاد الصيني الذي تحقق نموًا استثنائيًا معدل سنوي كبير ما بين 8-10 في المئة جعلها تعتمد اعتمادًا متزايدًا على النفط المستورد،وأصبحت ثاني أكبر استهلاكًا للنفط بعد الولايات المتحدة الأمريكية.

ولذا يقوم أمن الدولة الصينية حاليًا على تأمين وضمان تدفق الطاقة . ويعتبر النفط أحد أهم محددات السياسة الخارجية الصينية ويلعب دورًا كبيرًا في صنع السياسة الصينية، ومن هنا تحظى بعض المناطق الجغرافية باهتمام صانع القرار الصيني، حيث تحركت الصين بأنظارها الى تلك المناطق والتي لها تاثير في تنميتها الاقتصادية من خلال توفير مصادر الطاقة . ومن هذه المناطق الجغرافية والتي تحظى بأهمية الدوائر الخارجية الصينية، القارة الأفريقية ففي بحث قدمه بيتر بروكز، وجي هاي شين، لمعهد الدراسات الآسيوية، ونشرته مؤسسة التراث الامريكي . اكد أن بداية النفوذ الصيني في افريقيا، يرجع الى الستينيات من القرن الماضي من خلال تأسيس علاقات ايديولوجية مع العديد من دول العالم الثالث اقتصرت لحد كبير على مقاومة الهيمنة الأمريكية والغربية آنذاك إلا أن هذه العلاقات في العقود الأخيرة اتخذت شكلاً جديدًا يركز على العلاقات التجارية والاستثمارية والطاقة . ومع أن النفط هو المصدر الأكبر والأكثر وضوحًا في اهتمام الصين بأفريقيا فانه ليس بأي حال المصدر الأوحد لهذا الاهتمام، فالصين تسعى جاهدة للحصول على موارد متنوعة بقصد امتلاكها ومنها النحاس،

والبوكسيت، واليورانيوم، والألمنيوم، والمنغيز، وفلز الحديد. لكن أكثر تأثير الغرب من تعامل الصين السياسي والقارة هي المسائل التي تتعلق بسعي الصين الى الحصول على النفط في افريقيا.

فرضية البحث :-

تنطلق فرضية البحث للوجود الصيني في أفريقيا من ان الوصول والسيطرة الصينية على النفط الأفريقي بالارتكاز على استراتيجية موسعة مدعومة من قبل بكين تبرر بأن هدف توسع شركاتها هو النفط وتوسيع علاقاتها الاقتصادية مع الدول الأفريقية وصولاً الى ان الصين أصبحت دولة عالمية .

تنقسم الدراسة الى ثلاثة مباحث وهي :

المبحث الاول : مؤشرات الاستهلاك الصيني من النفط.

المبحث الثاني : جيواستراتيجية النفط في القارة الأفريقية.

المبحث الثالث : العلاقات النفطية بين الصين والقارة الافريقية .

المبحث الأول

مؤشرات الاستهلاك الصيني من النفط

بعد انتهاء الحرب الباردة تغيرت كثيرا المعطيات الجيوستراتيجية للعلاقات الدولية، مما أثر ذلك على دور النفط في العلاقات الدولية .،فقد ازداد الطلب على استهلاك النفط في السواق العالمية . فبعدما كان الجزء الأكبر من امدادات النفط تتجه صوب الولايات المتحدة ألأمريكية وأوربا الغربية واليابان، أخذت الامدادات تتجه بشكل أكبر الى الصين . فالأسواق الناشئة الجديدة في الصين بدأت تستوعب كميات كبيرة من الإنتاج العالمي للنفط، إذ يعد اقتصاد الصين ألأسرع نموًا في العالم في الربع الاخير من القرن الماضي وبدايات القرن الحالي مما زاد من حاجتها الى طاقة هائلة، ففي غضون السنوات الاخيرة فقد تحولت الصين من دولة مصدرة للنفط الى دولة تحتل المرتبة الثانية بين كبار المستهلكين النفطيين في العالم،اذ تستهلك الصين (6،3) مليون برميل من النفط يوميًا .

ومن المتوقع ان يزداد معدل استهلاك الصين من النفط ليصل الى (10) ملايين برميل في عام 2020. ويرى بعض المحللين بأن السوق الصينية وحدها مسؤولة عن (40٪) من الزيادة العالمية في الطلب على النفط منذ عام 2000. وكما من المؤكد أن اقتصاد الصين واستهلاكها المتزايد للطاقة لن يتباطأ في المستقبل المنظور، اذا مع مواصلة الاقتصاد الصيني نموه بنسبة (5،9-9،9) في السنوات القليلة الماضية قفزت واردتها النفطية بنسبة (5،3) في العام 2004 و (3،3) في العام 2005 . وتفيد التنبؤات بان الطلب الصين على الخام سيزداد سنويا نسبة (12٪) حتى عام 2020 .

بل تذهب توقعات أخرى لخارطة الطاقة العالمية، الا ان الصين تذهب لتصبح في المقدمة في استهلاك النفط، فهي اليوم ثاني اكبر مستهلك للنفط بما يقارب ب(6،10) ملايين برميل يوميًا من النفط في اليوم مقارنة بالولايات المتحدة التي هي اكبر مستهلك للنفط بما يقارب ب (19) مليون برميل من النفط في اليوم . وعلى الرغم من هذا الفرق، من المهم النظر الى تطور نمو الطلب من الدولتين، فالولايات المتحدة شهدت ثباتًا في مستوى الاستهلاك خلال العقد الاخير، في حين كان الاستهلاك الصيني للنفط ناميًا بشكل منتظم منذ ما يقارب العقدين ليرتفع بمعدل (6٪) كل عام من ثلاثة ملايين برميل في عام 1995، وحيث نرى معدلات النمو الحالية والمتوقعة للصين بالإضافة الى مختلف العوامل الديناميكية التي تعني عدد السكان وظاهرة التمدين،فان نمو استهلاك النفط من قبل

الين سيبقى على ما هو عليه، اي الى الارتفاع في السنوات القادمة . ويبين المخطط البياني ادناه مستوى صافي حجم الاستيراد النفطي للصين والولايات المتحدة .

ومع ان الصين ستحتاج الى الوقت حتى تتخطى مستويات الاستهلاك في الولايات المتحدة، الا انه لا مفر من ذلك في نهاية المطاف، كما أن نسبة اعتماد الصين على النفط الاجنبي تتزايد بشكل ملحوظ.

اذ ذكر تقرير تنمية الطاقة الصينية لعام 2011، الصادر عن جمعية بحوث الطاقة في الصين يوم 27 نوفمبر 2011، ان من المتوقع ان تتجاوز نسبة اعتماد الصين على النفط الاجنبي (60٪) بحلول عام 2015، بينما اظهرت البيانات المتعلقة بعام 2010، والصادرة عن وزارة الاراضي والموارد أن نسبة اعتماد الصين على النفط الاجنبي قد بلغ (54،8٪)، كما اظهر التقرير ذاته ان معدل النمو الاقتصادي الصيني سيحافظ على نسق ارتفاع سريع خلال الخطة الخمسينية الثاني عشر ليصل تقاريبا الى (10٪)، مما يعني ان استهلاك النفط في الصين سيحافظ على وتيرة نمو سريع . وتوقعت مديرة الابحاث في مؤسسة « فوركس دوت كوم « كاثلين بروكس، ان يرتفع استهلاك الصين للنفط بنسبة تزيد على (20٪)، وهو ما يجعل حصتها من النفط الخام تفوق حصة الولايات المتحدة، واشارت بروكس الى ان تقرير (المراجعة الإحصائية للطاقة العالمية) والصادر عن شركة (بريتش بتروليوم)، حول اتجاهات الاستهلاك والانتاج، ان الصين ستكون المستهلك الكبر للطاقة في العالم8.

وتعد الصين الدافع والمحرك الرئيس للطلب على النفط، ويمثل استهلاك الصين من النفط نسبة (33٪)، من أجمالي استهلاك اسيا من النفط الخام والذي يقدر ب30 مليون برميل يوميًا في عام 2012 حسب تقديرات وكالة الطاقة الدولية في تقريرها الصادر في اكتوبر 2012 . وقد سبقت الصين الولايات المتحدة في هذا المجال في شهر سبتمبر/ ايلول 2011،في نسبة استيراد النفط بفضل نمو اقتصادها السريع، وحسبما كشف ارقام نشرتها الحكومة الأمريكية،اذ جاء في تقرير ادارة معلومات الطاقة الأمريكية، أن النمو المضطرد في الطلب الصيني للنفط جعلها أكبر مستورد للنفط في العالم في سبتمبر 2013، وتتوقع ان يتواصل هذا التوجه في العام المقبل 2014 . فقد استهلك الامريكيون في سبتمبر (18،6) مليون برميل من النفط يوميًا مقارنة ب (10،9) مليون برميل استهلكها الصينيون، بينما بلغ انتاج الولايات المتحدة من النفط (12،5) مليون برميل من النفط في الشهر ذاته في حين لم تنتج الصين سوى (4،6) مليون برميل يوميًا .

اذ وصلت نسبة اعتماد الصين من الواردات النفطية الى (45٪) من النفط الذي تستخدمه عام 2010، وكان لهذا الامر انعكاسات هائلة على صناعة النفط العالمية في ضوء توقعات وكالة الطاقة الدولية، بأن واردات الصين النفطية ستكون بحلول عام 2030، مساوية لواردات الولايات المتحدة الأمريكية حاليًا، وبناءًا على توقعات معلومات الطاقة الأمريكية من المتوقع أن يزداد طلب الصين على النفط نسبة (130٪)، بوصوله الى (12،8) مليون برميل يوميًا مع حلول عام 2025 . وتشير الادارة الى أنه نظرًا الى أن الصين هي مصدر نحو (40٪) من نمو الطلب العالمي على النفط طوال السنوات الاربعة الاخيرة، مع نمو سنوي وصل الى مليون برميل يوميًا عام 2004، يصبح الطلب الصيني على النفط عاملاً رئيسيًا في أسواق النفط العالمية .

وتفيد التوقعات، أن واردات الصين النفطية سترتفع من المستوى الحالي البالغ 6 ملايين برميل يوميًا، الى 7 ملايين برميل يوميًا عام 2020، والى 8 ملايين برميل يوميًا عام 2025، ثم الى 11 ملايين برميل يومياً عام 2030، وستؤثر هذه الزيادة البارزة تأثير جذريًا في توافر النفط وفي تكلفة النفط الخام . وتنتهج الصين « اقتصادًا نفطيًا يتطلع الى الخارج « منذ عام 1995 تقريبًا. أو كما يعبر أحد المحللين بقوله « سعي الصين الى تحقيق أمن الطاقة هو أكثر من حلم اقتصاد بسيط، أنه ينطلق باستراتيجية الصين التنموية ككل أو بالاتجاه الذي يسلكه برنامج التحديث الصيني، وصين اليوم التي بدأت تأخذ مكانتها بوصفها قوة عالمية « . ويوضح الجدول رقم (1) ادناه استهلاك الدول العشرة الأولى في العالم للنفط.

جدول رقم (1) الدول العشرة الأولى الأكثر استهلاكًا للنفط بالعالم

الترتيب	الدولة او المنطقة	استهلاك النفط مليون برميل يوميا	تاريخ المعلومات
1	الولايات المتحدة	20،800،000	2005 est.
2	الاتحاد الاوربي	14،580،000	2004
3	الصين	6،930،000	2007 est.
4	اليابان	5،353،000	2005
5	روسيا	2،916،000	2006
6	المانيا	2،618،000	2005

7	الهند	2،438،000	est 2005.
8	كندا	2،290،000	2005
9	كوريا الجنوبية	2،130،000	2006
10	البرازيل	2،100،000	est 2006.

المصدر: The World Fact book، Washington، 2008، p.82.

المبحث الثاني

جيواستراتيجية النفط في القارة الأفريقية

عندما يجري الحديث عن افريقيا ن تتراءى للمرء، في اغلب الأحيان صور ملايين الجياع وويلات الحروب ووباء الايدز والملاريا . بيد ان هذه الكوراث تعكس نصف الحقيقة، فواقع الحال يشهد أيضا، على أن أفريقيا ما عادت تقنع بلعب دور المتفرج في الاقتصاد العالمي . فهذه القارة،أفاقت ايضا من أن سباتها ضمن بين الدول العشرة التي حققت في السنوات المنصرمة أعلى معدلات نمو اقتصادي، فستة دول جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى وبحسب بيانات صندوق النقد الدولي يتراوح متوسط نمو اجمالي الناتج المحلي الحقيقي في المنطقة بين (-5،25 5،75) خلال الفترة -2011 2012 . أما بالنسبة للاقتصاديات الدول الأفريقية المصدرة للنفط فأنه بلغ الى تحقيق معدل نمو (6٪) في عام 2011 و (7،25) في عام 2012 . ومعنى هذا ان افريقيا ستحقق معدلات النمو التي يتوقعها صندوق النقد الدولي للدول الصناعية وللاقتصاد العالمي، بمعنى تضاعف دخل الانتاج العالمي الى ضعف القيمة المتحققة حاليًا.

أن افريقا اليوم واحدة من اغنى المناطق الجغرافية بالثروات الطبيعية والتي لا تقتصر على نوع واحد من الموارد الطبيعية فهي تمتلك الكثير من الثروات الطبيعية والمعادن المهمة اقتصاديًا للاقتصاد العالمي .

تاتي في مقدمة هذه الثروات النفط، أذ يحظى قطاع الطاقة الأفريقي بجانب كبير من النمو المستدام والاهتمام المتجدد حيال احتياطات النفط والغاز الطبيعي غير المكتشف . وفي الوقت الذي ازدهرت فيه الاكتشافات النفطية خلال العقود الماضية في دول افريقيا جنوب الصحراء مثل نيجريا وانغولا وغينيا الاستوائية والكابون وافريقيا الشمالية مثل ليبيا والسودان ومصر والجزائر، فمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية قدر مجمل احتياطي القارة النفطي ب 80 مليار برميل، أي ما نسبته (8٪) من الاحتياطي العالمي الخام، وهي نسبة مقاربة حسب الاحصائيات الأمريكية من خلال دراسة السوق التي أجراها مجلس الدراسات الوطنية الأمريكي . لكن بعض الاحصائيات تذهب الى أن نسبة احتياطي النفط في القارة الافريقية تبلغ (10٪) من الاحتياطي العالمي . وتأتي القارة الأفريقية بهذه النسبة في المرتبة الثالثة على المستوى العالمي من حيث الامكانات النفطية، حيث يقدر الاحتياطي

الأفريقي (125،6) مليار برميل ويقدر العمر الافتراضي للمخزون النفطي الافريقي ب (33،4) سنة حسب معدلات الانتاج العالمي .(انظر الجدول رقم (2)).

ومن الملاحظ أن مخزون النفطي الأفريقي قد ارتفع بشكل كبير، أكثر من النصف خلال الثلاث العقود الاخيرة وذلك من (53،4) مليار برميل عام 1980، الى (125،6) مليار برميل عام 2008، وهذا يدل على تزايد الاستثمارات في مجال الاستكشاف والانتاج وبالتحديد في المناطق الواعدة في منطقة شمال وغرب افريقيا .(أنظر الجدول رقم (3)).

الجدول رقم (2) إحتياطيات النفط المؤكد بالعالم حسب القارات والمناطق 2010 (مليار برميل)

ت	المنطقة الجغرافية	النسبة التقديرية	الاحتياطي
1	الشرق الأوسط	60٪	754،1 مليار برميل
2	اوربا	11،4٪	142،1 مليار برميل
3	أفريقيا	10٪	125 مليار برميل
4	أمريكا اللاتينية	9،9٪	123،2 مليار برميل
5	أمريكا الشمالية	6٪	70،9 مليار برميل
6	آسيا والمحيط الهادي	3٪	42 مليار برميل

الواقع والافاق المستقبلية للنفط والغاز بالقارة الأفريقية، منتدى التعاون العربي الأفريقي في مجال الاستثمار والتجارة، الجماهيرية الليبية، 25/ 26 سبتمبر 2010، ص 7

الجدول رقم (3) تطور المخزون النفطي للعالم والقارة الأفريقية (1980– 2010) مليار برميل

السنة	العالم	افريقيا
1980	680	53،4
1985	760	66،1
1990	990	80،5
1995	1040	90،7
2000	1200	111،6
2010	1250	125،6

المصدر: الواقع والأفاق المستقبلية للنفط والغاز بالقارة الأفريقية ن منتدى التعاون العربي الأفريقي في مجال الاستثمار والتجارة، الجماهيرية الليبية، 25/ 26 سبتمبر 2010،ص 8.

ويعتبر خليج غينيا في غرب افريقيا أهم مركز لإنتاج النفط من المياه العميقة في العالم، اذ يصل انتاجه حسب بعض الاحصائيات لمستوى (9،5) مليون برميل يومياَ، اي بما يعادل (11٪) من الانتاج العالمي . وترجع أهمية المنطقة كونها الأسرع نموًا بمعدلات تفوق المناطق المنتجة الأخرى، حيث حققت نموا في الإنتاج يبلغ معدل (30٪) خلال عشر سنوات بالمقارنة ب (16٪) في غيرها من المناطق. كما تضاعفت الاحتياطات النفطية في أفريقيا في القارة، ويستأثر خليج غينيا بأكثر من (70٪) من أنتاج القارة من النفط و (75٪) من احتياطاتها .

ويكسب نفط خليج غينيا أهمية خاصة لعدة اعتبارات.

1 - غزارة الانتاج والاحتياطي في المنطقة بعد اضافة الحقول الجديدة .

2 - الاعتبارات الاقتصادية للقرب سواحل المنطقة من السواق العالمية .

3 - وقوع معظم الحقول الجديدة في المياه العميقة بما يوفر الحل المثالي للمشاكل الأمنية .

4 - ارتفاع جودة الخام الفريقي عن نظيره بالخليج العربي لأنه من النوعية الحقيقة الخالية من الكبريت المتناسبة مع مواصفات المصافي الحديثة ويساعد الدول المستهلكة على الالتزام البيئية .

5 - الاستفادة من اختلاف شروط الاتفاقيات النفطية .ففي الشرق الأوسط مثلاً، تنتج الشركات الوطنية للنفط وتبيعه للمستهلك الأجنبي . أما في خليج غينيا فالشركات الأجنبية تنتج وتضخ البترول وتبيعه لنفسها وفقًا للاتفاقيات للمشاركة في الإنتاج وبموجبها تحصل الشركات الأجنبية على امتياز للتنقيب بشرط تحملها للنفقات ثم تتقاسم العوائد مع الحكومة بعد خصم التكاليف، وهو ترتيب يتناسب مع الامكانيات الفقيرة للدول الأفريقية .

وتسمى منطقة خليج غينيا « بالخاصرة الأفريقية الغنية بالنفط « ومن أبرز الدول في خليج غينيا.

-1 نيجيريا : وتعد في مقدمة الدول الأفريقية في انتاج النفط، أذ بلغ انتاجها مابين (2،8 3-) ملايين برميل يوميًا لعام 2010، وتتوقع الدراسات المستقبلية أن ترفع نيجيريا انتاجها من النفط ليصل الى (4،4) مليون برميل في العام 2020، حيث من الممكن ان تتجاوز ايران .

2- انغولا : وتعد المصدر الثاني في القارة الأفريقية والتي خرجت في عام 2002، من حرب أهلية دامت خمسة عشر عامًا، ويتوق ان يصبح انتاجها في عام 2020 لمستوى يترواح مابين (2،8-3) ملاين برميل . كما ان هناك دول خارج خليج غينيا مهمة في انتاج النفط الأفريقي كالجزائر ومصر وليبيا والسودان . ويوضح الجدول رقم (4) الدول الاكثر انتاجًا للنفط في القارة الأفريقية.

جدول رقم (4) الدول الاكثر انتاجًا للنفط في القارة الأفريقية مقدرًا (مليون برميل يوميًا)

الترتيب	الدولة	انتاج النفط مليون برميل	تاريخ المعلومات
1	نيجيريا	2،9 مليون برميل	2010
2	الجزائر	2،2مليون برميل	2010
3	ليبيا	1،7 مليون برميل	2007
4	انغولا	1،3 مليون برميل	2006
5	مصر	0،7 مليون برميل	2008

المصدر: .The World Fact book، Washington2010، p.122

المبحث الثالث

علاقات الصين والدول الافريقية

تعتقد الصين منذ أمد طويل بان الدول الافريقية تتمتع بأهمية اقتصادية ودبلوماسية، ويرجع هذا الموقف الى أواخر الخمسينات وأوائل الستينيات من القرن الماضي. وحديثًا، أدت أحداث ساحة تيانانمين في حزيران / يونيو 1989، ومسارعة القادة الافارقة الى دعم بكين في وجه النقد الكبير الذي صبه الغرب على الصين الى زيادة الاهتمام الصيني بأفريقيا،فاعاد اكتشاف الصين اصدقائها الافارقة جاء بعد عقد من الاهمال بدأ مع شروع بكين في مشروع « التحديث الاشتراكي «» فعقب أحداث تيانانيمن تذكرت الصين أن أفريقيا كانت مصدر دعم مفيدًا كلما دخلت الصين في نزاع مع قوى عالمية فاعلة أخرى .

لكن التحول السريع في مكانة الصين وتحولها من دولة أقليمية الى دولة عالمية كبرى، وكما اشير الكثير من المتخصصين في شؤون العلاقات الدولية، اذ اصبحت الصين تملك عناصر قوة الدولة الكبرى والتي تأتي في مقدمتها القوة البشرية، والقوة الاقتصادية، ومعدل الانفاق العسكري،ومؤشر قوة التنمية، والموقع الجغرافي . وهي عناصر التي تحاول استخدامها لتحقيق أهداف محددة وهو ما يعبر عن بمصطلح التأثير أو النفوذ . وتماشيًا مع سياسة الصعود السلمي في السياسة الخارجية الصينية، والذي نظر اليها « زينغ بيجيان « الموظف في الخارجية الصينية، والتي تركز على عدة عناصر رئيسية هي .

1 – أن تستفيد الصين من السلام العالمي لتعزيز التنمية في البلاد، وفي المقابل أن تساعد هي على تحصين السلام العالمي من خلال ما تحققه من تنمية .

2 – الاعتماد على قدرات الصين في المقام الاول .

3 – الاستمرار في سياسة الانفتاح والقواعد الفاعلة للتجارة الدولية والتبادل التجاري كضمان لتحقيق هذا الهدف.

ومن خلال هذه السياسة، كانت أحدى مناطق الانفتاح الصيني هي القارة الافريقية وخصوصًا من خلال الاستثمارات النفطية، او بعبارة أخرى أن العلاقات الصينية الافريقية قديمة تاريخيًا وتستند الى مبدأ «عدم التدخل»، فأن الدافع الاقتصادي هو المهيمن الآن بشكل لا يقبل الجدل .

أذ تمثل هذه الاستراتيجية التي يقع عليها الاختيار اساسًا في الحصول على موارد طاقة أجنبية عبر اتفاقيات طويلة الاجل، بالإضافة الى شراء موجودات خارجية في صناعة الطاقة، وتقوم هذه السياسة على الرغبة في التغلب على فرط الاعتماد على السوق العالمية للنفط، وذلك إما من خلال الحصول على حصص رئيسية فعلية في حقول النفط الافريقية، او بحماية وصولها الى تلك الحقول . وتعد أفريقيا الموقع الرئيسي لأن، فالصين تواجه منافسة أجنبية، ومن أجل النفط يجب على الشركات الصينية أن تتوجه الى أماكن لا توجد فيها شركات أمريكية أو أوربية . ولا ريب أن الشركات الصينية سبقت غيرها من الشركات الكبرى في التنبؤ بالفرص الموجودة في أفريقيا.

ويلاحظ من الجدول أدناه، أن علاقات بكين التجارية الرئيسية في أفريقيا هي علاقات بدول منتجة للنفط باستثناء دولة جنوب أفريقيا ذات الاقتصاد الصناعي المتقدم جدًا.

الجدول رقم (5) العشرة الأوائل من الشركاء التجاريين الافريقيين للصين 2004 (بحسب الواردات)

البلد	القيمة (مليون دولار أمريكي)	التجارة بين الصين وأفريقيا (٪)
أنجولا	3.422.63	27.4
جنوب أفريقيا	2.567.96	20.6
السودان	1.678.60	13.4
الكونغو برازفيل	1.224.74	9.8
غينيا الاستوائية	787.96	6.3
الغابون	425.39	3.3
نيجيريا	372.91	3.0
الجزائر	216.11	1.7
المغرب	208.69	1.7
تشاد	148.37	1.2
الاجمالي	11.043.72	88.4

المصدر:

International Monetary Fund، Direction of Larder Statistics (Washington DC:IMF.2005)

وقد بلغ حجم التجارة بين الصين وأفريقيا عام 2010، مائة مليار دولار مسجلا قفزة كبيرة مقارنة بالأعوام السابقة مع تزايد الاستثمارات الصينية في القارة الأفريقية، أذ ذكر تقرير صادر عن وزارة التجارة الصينية أن حجم التبادل بين الطرفين بلغ (61.2) مليار دولار في النصف الاول من عام 2010، بزيادة (65٪) عن الرقم المسجل في المدة نفسها من عام 2009 . وذكرت الوزارة أن ما يزيد عن 1600 شركة صينية تستثمر حاليا في قطاعات التعدين والصناعات التحويلية وبقية فروع التجارة الاخرى، وتحرص بكين على التأكيد أن علاقاتها التجارية والاقتصادية مع افريقيا تقوم على المصالح والمنافع المتبادلة .

وترى الخبيرة الاقتصادية الافريقية دامبيسا موبو في مقال كتبته بصحيفة نيويورك تايمز الأمريكية تحت عنوان « بكين .. هبة أفريقيا «. أن تهافت الصين على الموارد الطبيعية أفضى الى نشاط تجاري واستثماري كانت أفريقيا في امس الحاجة إليه وأوجد لصادرات القارة سوقًا كبيرة مما عاد عليها بنفع عميم في سعيها لتحقيق نمو اقتصادي سريع . وتمضي الكاتبة الافريقية في دحض الحجج الغربية بالقول بأن الصين تسعى لتحقيق مآرب امبريالية أو استعمارية لا يستقيم عقلاً ولا يتسق مع نمط التفكير الاستراتيجي الراهن لبكين، كما أن الدور الصيني في أفريقيا يحظى بترحيب واسع في كل أرجاء القارة واستندت الكاتبة لنتائج مسح اجراه مركز بيو الأمريكي للدراسات عام 2007، في عشر من دول القارة الأفريقية، فقد توصل المسح الى أن نظرة الناس في الدول العشر جميعها تجاه الصين كانت ايجابية بدرجة أكبر منها ازاء الولايات المتحدة .

كما يؤكد هذه الحقيقة الرئيس السنغالي عبدالله واد « أن فهم الصين لاحتياجاتنا أفضل من الفهم البطئ والمتغطرس في بعض الاحيان للمستثمرين الأوربيين، والمنظمات المانحة، والمنظمات غير الحكومية، ليست افريقيا وحدها هي التي يجب ان تتعلم من الصين ولكن الغرب ايضًا « .

ولم يكن التغلغل الصيني في أفريقيا تغلغلاً اعتباطيًا، وإنما من خلال استراتيجية طويلة وواضحة المعالم اعتمدت على عدة ركائز ومنها.

1 – الابتعاد عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأفريقية التي تقوم بالتعامل معها

تنأى الصين عن التورط في الصراعات الداخلية أو إزعاج القادة الفارقة بطموحات سياسية لها في القارة وفي ذلك يؤكد سفير سيراليون في الصين بقوله « أن الصينيين يأتون وينجزون العمل المطلوب تما مًا، فلا اجتماعات يعقدونها حول تقويم الآثار البيئية، وحقوق الإنسان والحكم السيئ والحكم الرشيد، لا اقول إن هذا الأمر صائب، لكن الاستثمار الصيني ناجح لأن الصينيين لا يضعون معايير صارمة» .

ولذلك فالساسة الصينيون دائما ما يرددون قولهم بأن الصين لا تخلط السياسة بالاقتصاد « فالسياسة هي السياسة، والاعمال هي الاعمال (Business is business)، وهي تعطي مثلاً على ذلك من خلال وجودها في السودان، كما صرح نائب وزير الخارجية الصيني زهو ونزهونغ صيف العام 2004، حول قضية دعمها الحكومة السودانية ضد قوات المتمردين « الاعمال هي ما يهمنا، ونحن نحاول فصل الاعمال عن السياسة، وأعتقد ان الوضع الداخلي السوداني هو شان داخلي ن ونحن لسنا في موقف يتيح لنا أن نفرض مواقفنا على الحكومة « .

2 – تقديم المساعدات.

تقدم الصين ذاتها للحكومات الافريقية على انها بلد يبتعد عن الاطماع الاستعمارية، وأنها تقدم مساعدات غير مشروطة الغرض منها تنمية أفريقيا بشكل كبير وهو ما يشجع القادة الافارقة على تعزيز التعاون بينهم وبين الصين، ويقول مفوض الشؤون الاقتصادية بالاتحاد الأفريقي ماكسويل الامبا، إنه يجب على أفريقيا أن تتحول أكثر فأكثر نحو الصين كشريك للتنمية لان الشروط والقيود غالبًا ما تعوق الاموال من الدول الغربية والبنك الدولي، وأضاف على هامش قمة الاتحاد الافريقي في اوغندا في تموز 2010، « لقد اعتمدنا على العالم الغربي من أجل تنمية وتكامل أفريقيا، لا تسطيع أن تستمر في نفس النهج . نحتاج الى تنويع شركائنا الذين نتعاون معهم، وبالنسبة لنا فأننا رحبنا بالتعاون مع الصين» .

أن الصين في علاقاتها بالدول الافريقية لم ترهن قدر ما من الديمقراطية أو اشتراط معايير خاصة لحقوق الإنسان تتم بموجبها الافادة من المنح الصينية، مما جعل قادة القادرة يميلون نحو بكين لأدركهم ان مثل هذه الشروط ليست على الاجندة الصينية المهتمة أكثر بعالم الأعمال والاستثمار،» وتكشف الاحصاءات الصينية ان بكين قدمت مساعدات لعام 2004 بلغ الى 2،7 مليار دولار، ما يعادل ٪26 من اجمالي المساعدات الدولية الصينية .

ويعلق أحد المعلقين الصينيين على ذلك بقوله، « إن الغرب ما زال يتعامل مع أفريقيا كمستعمرة في حين أن اهتمام بكين يقوم على أساس التنمية الاقتصادية المتبادلة « .

3 - توسيع الاستثمارات النفطية

انتهجت الصين سياسية تسريع الاستثمارات النفطية في القارة الافريقية عبر شركاتها وخاصة شركة النفط الوطنية الصينية وشركة البتروكيمات الصينية، اذا وقعت عام 2002 عقدًا بقيمة 525 مليون دولار، لتطوير حقل زارزاتين في الجزائر، كما قامت شركة النفط الوطنية الصينية عام 2003 بشراء عدد من مصافي التكرير الجزائرية، بمبلغ 350 مليون دولار وتوقيع عقد لاستكشاف النفط في موقعين . كما استثمرت الصين بقيمة 4 مليارا ت في انجولا يستحق السداد من النفط المصدر للصين بواقع 522 الف برميل يوميا، وقد تخطت انجولا السعودية في تصدير النفط للصين . كما قامت بتوقيع اتفاق مع السودان، بلغت قيمته 8 مليارات دولار بشأن اكتشاف واستخراج النفط، ومن أهم استثمارات هيئة النفط الوطنية الصينية حقول كردفان ودارفور التي تملك الصين بها امتياز التنقيب في حقولها . كما دخلت في عقد حوارات في استثمار نفط جنوب السودان .كما تم توقيع عقد بيع نفط خام بقيمة 800 مليون دولار بين بتروتشاينا وشركة النفط الوطنية النيجرية لتزويد الصين ب 30000 برميل من النفط الخام يوميًا، وقد وافقت شركة النفط البحرية الوطنية الصينية عام 2006 على دفع 2.3 ملياري دولار ثمن حصة لها في حقل نفط وغاز نيجيري .كما استطاعت الصين عبر شركاتها النفطية العملاقة من حصولها على امتياز حقول التنقيب عن النفط في مساحات واسعة من تشاد .ووقعت شركات النفط الصينية عقودًا لبدء استكشاف النفط البحري وانتاجه مع الكونغو- برازافيل، وبد عمليات الاستكشاف النفطي شمال ناميبيا، حيث تتطلع الشركات الصينية الى إنشاء مصفاة لتكرير النفط هناك .

الخاتمة:

ان الصين تسير اليوم نحو نوع من الهيمنة القائمة على مراعاة الاخرين وخصوصا تلك الدول التي تمتلك الكثير من الثروات ولا سيما النفط، فهي تراعي الدول بالمساعدات الغير مقيد بشروط والاستثمارات الهائلة والتي تستطيع من خلالها افريقيا ان تخرج من طور التبعية للدول الغربية والتي مارستها لسنين طويلة على القارة الافريقية، مبطنة بمفهوم حقوق الانسان والحريات ذلك المفهوم

الذي لا يعكس واقع الدول الغربية والذي طالما كانت تؤيد الديكتاتوريات العتيدة في القارة السمراء. فالصين تتكلم بلغة الاقتصاد والأرقام وهي بذلك تعطي نموذجا ناجحًا للاقتصاد الناجح القائمة على المصالح المشتركة.

تأتي أهمية المنطقة الأفريقية بالنسبة للصين لكونها منطقة حيوية وغنية بمصادر الطاقة والتي أصبحت لا غنى عنها لجميع الدول ولاسيما الدول الصناعية الكبرى ذات التنافس الاقتصادي الدولي في عالم أصبحت تحركه المصالح الاستراتيجية الاقتصادية بالمرتبة الأولى والحفاظ على اهميتها من خلال هذا التنافس الدائر بين القوى الكبرى الاقتصادية وتأتي الصين اليوم في مرتبة متقدمة صناعية واقتصادية وتنموية، حتى أصبحت الكثير من الدول الصناعية الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية تخشى من طبيعة التنافس الاقتصادي بينها وبين الصين، أن التحول في التفكير الاستراتيجي الصيني ارتكز على حقيقة مفادها ان البقاء في مرتبة اقتصادية وتنموية يتوجب عليها النظر بعيدًا خارج اطارها الاقليمي المتمثل بشرق وجنوب شرق آسيا، لاسيما تلك المناطق الاستراتيجية والرئيسية في التنافس الاقتصادي حيث المخزون الهائل بمصادر الطاقة .

أن مستقبل العلاقات الصينية – الافريقية أخاذ بالصعود بعد التغيرات الاستراتيجية في كل من الصين والدول الافريقية ، كذلك عدم وجود معوقات لهذه العلاقات بين الطرفين لعدم وجود تجارب تاريخية سيئة تعوق هذه العلاقات لاسيما في عالم يقوم على المصالح المتبادلة .

ان نموذج الصين الاقتصادي اليوم يمثل نموذجا ناجحًا بكل مقاييس الاقتصاد والسياسة، اذ الانفتاح السياسي والاقتصادي على جميع دول العالم ولاسيما دول القارة الافريقية جعل من قادة وشعوب هذه الدول تنظر بعين الارتياح من السياسة الصينية القائمة على المصالح المتبادلة وتعميق الاستثمارات المفيدة لتلك الدول.